بسم الله الرحمن الرحيم

مظاهر تمكين المرأة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة.

Manifestations of Women's Empowerment in the Era of the Message and the Rightly Guided Caliphate

من إعداد الأستاذين :

الدكتورة: سلاف لقيقط/ أستاذة الحديث وعلومه. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة. الجزائر.

الأستاذ الدكتور : نجيب بوحنيك / أستاذ مادة المواريث . بكلية العلوم الإسلامية ، جامعة باتنة –1– . الجزائر

بحث مقدم إلى الملتقى الدولي: "**التمكين النسوي في المنظور الدولي بين إشكالات عالمية النصوص وخصوصية المجتمعات العربية** " المنعقد يومي: 20-21 ديسمبر2022م.والمنظم من قبل : مخبر الدراسات القانونية التطبيقية، كلية الحقوق، جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة 1-.

ملخص البحث:

عاشت المرأة قبل بعثة الرسول –ρ– حياة بائسة في الغالب، عانت فيها من الاضطهاد والامتهان، وذاقت خلالها كل ألوان الذل والحرمان، ومع بزوغ شمس هذا الدين شهدت المرأة تحولا كبيرا في حياتها بما أحدثه الإسلام بمنظومته العقدية والتشريعية والأخلاقية من ثورة على موروثات الجاهلية المخالفة لمبادئه السامية، وانقلابٍ جذري في المفاهيم والقيم السائدة، جعلها تستشعر كرامة الإنسان، حيث شرع لها من الأحكام –حقوقا وواجبات– ما حفظ كرامتها ورفيع مكانتها في المجتمع وأهلتها للانخراط في حركيَّته، ومكَّن لها كعنصر فاعل من أفراده، فكان لها بذلك أدوارا ريادية، وحضورا بارزا في مختلف المجالات؛ كالمجال العلمي، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي كما يشهد بذلك عصر الرسالة والخلافة الراشدة باعتباره زمن الاستجابة الصادقة والتطبيق الأمثل لتعاليم وقيم هذا الدين الحنيف، وقد جاء هذا البحث لإبراز مظاهر التمكين هذه ويقدم بعض النماذج والأمثلة كشواهد على ذلك، ودلائل على ثراء منظومتنا التشريعية الإسلامية ونجاحها في تقرير السبل الآمنة والميسرة التي تراعي طبيعة المرأة وتحفظ كرامتها حتى تؤدي وظيفتها الأساسية المنوطة بها؛ وهي خلافة الأرض وعمارتها على الوجه الأكمل، وليؤكد أن تمكين المرأة اليوم لا يحتاج إلى مزيد تشريعات، وإنما يحتاج إلى البيئة التي تحتضن هذه العملية، وتحمل على عاتقها مسؤولية إنجاحها، وإلى الإرادة الجماعية الواعية الوقَّافة عند حدود الله –Ψ–.

الكلمات المفتاحية : التمكين، النسوي ، الرسالة، الخلافة الراشدة.

Abstract:

Before the mission of the Prophet (may Allah's peace and blessings be upon him), the woman lived an often miserable life, in which she suffered persecution and abuse, during which she tasted all the colors of humiliation and deprivation. With the advent of the sun of this religion, women witnessed a major transformation in their lives, as Islam, with its ideological, legislative and moral system, revolutionized the legacy of Jahiliyyah, which contradicts its lofty principles. He also made a radical change in the prevailing concepts and values, made her feel human dignity, and legislated provisions for her - rights and duties-. With the aim of preserving its dignity, raising its place in society and enabling it to participate in its movement. Thus, it had pioneering roles and a prominent presence in various fields. Such as the scientific, social, economic and political fields, as evidenced by the era of the message andThe Rightly Guided Caliphate , the time of honest response and full application of the teachings and values of this true religion. This research came to highlight these aspects of empowerment and presents some models and examples as evidence for that, and the richness of our Islamic legislative system and its success in identifying safe and easy ways that take into account the nature of women and preserve their dignity to perform their basic function, and To emphasize that women's empowerment today does not need more legislation, It needs the environment that embraces this process, bears responsibility for its success, and the conscious collective will that stands at God's borders

Keywords: Empowerment, Women, The message, The rightly guided caliphate.

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عاشت المرأة قبل مجيء الإسلام، وبعثة المصطفى –عليه الصلاة والسلام– أوضاعا مزرية وحياة بائسة في الغالب، عانت فيها من الاضطهاد والامتهان، وذاقت خلالها كل ألوان الذل والاحتقار والحرمان، لا لشيء إلا لكونها أنثى، هي في أفضل نظرة لها ذلك المخلوق الضعيف الكَّل على أسرته وعلى مجتمعه.

ومع بزوغ شمس هذا الدين شهدت المرأة خاصة في شبه جزيرة العرب–مهد الرسالة– تحولا كبيرا في حياتها بما أحدثه الإسلام بمنظومته العقدية والتشريعية والأخلاقية من ثورة على موروثات الجاهلية البالية المخالفة لمبادئه ومقاصده السامية، وانقلابٍ جذري في المفاهيم والقيم السائدة، جعلها تستشعر كرامة الإنسان ولذة الانعتاق من الأعراف الجائرة، حيث أولاها الإسلام رعاية خاصة واهتماما كبيرا، فكان أول ما قرره وحدة أصل النوع البشري فقال سبحانه : { يا أيها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً } [النساء:1]

كما أقر حقها في الحياة وقد كانت توءد فور ولادتها، فقال –ﷻ–: { وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ }[التكوير : 8 ، 9].

وحقها فيما أبعد من الحياة وهو تقرير مصيرها والتخطيط لمستقبلها بإعطائها كامل الحرية في اختيار من يشاركها حياتها. فقال –ρ– :[**لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ**] [1]

وقد تشفع النبي –ρ– لمغيث زوج بريرة حتى تراجعه لما رأى من حبه لها "فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: [**إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ**]، قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ"[2].

وأبت أن ترجع إليه، فاحترم –عليه الصلاة والسلام قرارها وإرادتها–

وحقها في الكرامة والاحترام، فقال –ρ– : [**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي**] [3].بل كان من آخر وصاياه قوله –ρ– :[**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**] [4] .

أقرّ أيضا:

– أهليتها للخلافة وعمارة الأرض وحمل أمانة التكليف ومسؤوليتها الجزائية، فقال تعالى:{ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } [الأحزاب : 72].

{ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ } [آل عمران : 195]

وقال أيضا: { لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ } [النساء : 32]

– ذمتها المالية الخاصة والمستقلة، وجعل لها سلطانا تاما على أموالها ملكا وتنمية واستثمارا وانفاقا.

---

(1) – أخرجه : البخاري: الصحيح، ح(4843)، مسلم : الصحيح، ح(3538).

(2) – أخرجه : البخاري: الصحيح، ح(4979).

(3) – أخرجه : الترمذي: الجامع، ح(3895)، وقال : " هذا حديث حسن صحيح " .

(4) – أخرجه : البخاري: الصحيح، ح(4890)، مسلم : الصحيح، ح(3720).

وغير ذلك من الحقوق التي كفلها الإسلام للمرأة، و التي ارتقت بها فبوأتها مكانة رفيعة في المجتمع وأهلتها للانخراط في حركيَّته، ومكَّنت لها كعنصر فاعل من أفراده، فكان لها بذلك أدوارا ريادية، وحضورا بارزا في مختلف المجالات؛ كالمجال العلمي، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي كما يشهد بذلك عصر الرسالة والخلافة الراشدة باعتباره زمن التحول المشهود في حياة المرأة، و الذي كان أساسه ومنطلَقُه الاستجابة الصادقة والتطبيق الأمثل لتعاليم وقيم هذا الدين الحنيف.

قال محمَّد عمارة :" يوم انتقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى (11هـ/632م) كان تعداد الأمة التي دخلت الدين الجديد وانخرطت في رعية الدولة الوليدة 124000 من المسلمين والمسلمات .. وعندما رصد علماء التراجم والطبقات أسماءَ الأعلام والصفوة والنخبة التي تربت في مدرسة النبوة، وتميز عطاؤها في مختلف ميادين العطاء، رصدوا أسماء نحو 8000 من صفوة الصفوة .. فكان من بينهم أكثر من 1000 من النساء!.. أي أن التحرير (التمكين) الإسلامي للمرأة قد دفع إلى مراكز الريادة والقيادة أكثر من واحدة من بين كل ثمانية من الصفوة والنخبة، إبان ثورة التحرير الإسلامي، في أقل من ربع قَرن من الزمان!.. وهي أعلى نسبة للريادات النسائية في أي ثورة من ثورات التحرير أو نهضة من النهضات" [(1)].

وقد جاءت هذه الورقة البحثية الموسومة بـ:

" مظاهر تمكين المرأة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة "

– لتثري المحور الأول من محاور الملتقى، المعنون بـ: مفهوم تمكين المرأة والعولمة، خاصة الجزئية المتعلقة منه ببيان موقف الشريعة الإسلامية .

– ولتسلط الضوء على بعض مظاهر تمكين المرأة في حياة النبي–ﷺ– وقائد الأمة وإمامِها، معززة ذلك بما كان أيضا زمن الخلفاء الراشدين باعتبارهم خير من حمل لواء التغيير والتبليغ لرسالة الإسلام الخالدة مبرزة ذلك الحضور الواضح للمرأة في مختلف مجالات الحياة، بعرض بعض النماذج كشواهد على ذلك.

وارتأينا عرض مادتها العلمية في العناصر الآتية:

أولا: مظاهر التمكين العلمي للمرأة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة.

ثانيا: مظاهر التمكين الاجتماعي للمرأة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة.

ثالثا: مظاهر التمكين السياسي للمرأة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة.

رابعا: مظاهر التمكين الاقتصادي للمرأة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة.

الخاتمة : أوجزنا فيها التوصيات ونتائج هذا البحث .

والآن نشرع – بإذن الله – في بسط المادة العلمية لهذا البحث حسب تسلسل خطته المذكورة سابقا .

(1) – التحرير الإسلامي للمرأة–الرد على شبهات الغلاة–: (20).

أولا : مظاهر التمكين العلمي للمرأة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة.

أقر الإسلام حق المرأة في المشاركة في الحياة العلمية والاجتماعية، وفي الحياة العامة للأمة باعتبارها فردا من أفرادها، وقد شاركت المرأة زمن الرسول-ρ- والخلفاء الراشدين في الحياة العلمية، ومارست حقها في ذلك بكل أريحية من غير تضييق ولا تبكيت، في إطار ما ألزمها به الشارع الحكيم من ضوابط وأحكام، و كان لها أثرا واضحا على المستويين التعلُّمي التحصيلي كطالبة للعلم، وعلى المستوى التعليمي كمعلمة وعالمة ناشرة للمعرفة والوعي.

أ- أما على المستوى الأول: فعلى الرغم من مشاركة المرأة وحضورها المجالس العلمية العامة للنّبي -ρ- إلا أن ذلك لم يرو ظمأها، فطلبت منه -ρ- أن يخصّ النساء بمجلس علمي لا يُزَاحَمن فيه، يسمح لهن بأن يتفقهن في أمور دينهن، ويستفتين عما يتعلق بهن من أحكام، مجتهدة بذلك في تذليل كل ما يمكن أن يكون سبيلها إلى تحصيل العلم، فعن أبي سعيد الخدري-τ- قال : " جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ρ- فقالت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. فقال : [**اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا**]. فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ -ρ- فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ..." [(1)].

الأمر الذي يظهر إيجابيّتها في المجتمع بمساهمتها في تطوير وتنشيط الحراك العلمي النّسوي، ومشاركتها في تصوّر، واقتراح الوسائل النّاجعة التّي تلبي رغبتها وفي الوقت ذاته تتوافق وطبيعتها الخلقية ومبادئها الأخلاقية، و بإشرافه -عليه الصلاة والسلام- بنفسه على عملية تعليمها، ومباشرته من فوره لها، يكون قد أضفى عليها بعدا رسميا زاد الأمر أهميّة وزاد المرأة تكريما وتمكينا.

- من مظاهر التمكين للمرأة أيضا أن النساء كن يأتين النبي -ρ- يستفتينه ويسألنه في شؤون شتى ومجالات مختلفة بل ويراجعنه أحيانا، ولم يؤثر عنه -عليه الصلاة والسلام – أنه رد أو زجر إحداهن قط، بل كان يتلطف معهن ويسعى في تبسيط الجواب بما ييسر عليهن الاستيعاب.

- وكانت الصحابيات ومن بينهن أم المؤمنين حفصة – ﷺ- تتعلم القراءة والكتابة على يد الشِّفاء بنتِ عبد الله القرشية. وقد طلب الرسول -ρ- منها أن تعلمها رقية النملة أحد أنواع الرقى، فعن الشِّفَاءِ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَتْ: "دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ- ρ- وَأَنَا عِنْدَ حَفْصَةَ فَقَالَ لِي: [**أَلَا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ**]"[(2)].

ب- وأما على المستوى الثاني فقد كان لها دورا فعالا في إثراء الحياة العلمية بما كانت ترفعه من انشغالات وأسئلة إلى المعلم الأول -عليه الصلاة والسلام-، بل كانت أحيانا سببا في نزول القرآن بتشريعات جديدة بإثارتها لبعض الإشكالات التي لم تسبق إليها.

- فعن أم عمارة الأنصارية –ﷺ- أنها أتت النبي -ρ- فقالت : "مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يُذْكَرْنَ بِشَيْءٍ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ: { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [الأحزاب : 35]" [(3)].

---

(1) – أخرجه : البخاري: الصحيح، ح(6880)، مسلم : الصحيح، ح(6868).

(2) – أخرجه : أبوداود: السنن، ح(3887)، وصحيحه الألباني . ينظر: السلسلة الصحيحة، ح(178) .

(3) – أخرجه : الترمذي: الجامع ، ح (3211). وقال :" هذا حديث حسن غريب ".

– وعن خُوَيْلَةَ بِنْتِ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ–ﷺ– قَالَتْ :"ظَاهَرَ مِنِّي زَوْجِي أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ –ρ– أَشْكُو إِلَيْهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ –ρ– يُجَادِلُنِي فِيهِ وَيَقُولُ :[**اتَّقِي اللَّهَ فَإِنَّهُ ابْنُ عَمِّكِ**] فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا } إِلَى الْفَرْضِ فَقَالَ:[**يُعْتِقُ رَقَبَةً**] قَالَتْ : لَا يَجِدُ. قَالَ: [**فَيَصُومُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**] قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ. قَالَ: [**فَلْيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا**] قَالَتْ : مَا عِنْدَهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ قَالَتْ: فَأُتِيَ سَاعَتَئِذٍ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي أُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ. قَالَ: [**قَدْ أَحْسَنْتِ، اذْهَبِي فَأَطْعِمِي بِهَا عَنْهُ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَارْجِعِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ**]" [(1)] .

– ومن مظاهر التمكين للمرأة على هذا المستوى أيضا: تصدرها مجالس التحديث والتعليم والإفتاء.

كان للمرأة في العصر النبوي دورا كبيرا في حفظ ورواية حديث النبي –ρ–؛ وكانت في هذا مثلا للدقة والضبط والصدق فيما تنقله من أخبار المصطفى –ρ–، وقد شهد لها بذلك الإمام الذهبي، أحد كبار المحدثين بقوله: "ما علمت في النساء من اتهمت ولا من تركوها"[(2)] .وقال أيضا الشوكاني: " لم ينقل عن أحد العلماء أنه رد خبر امرأة لكونها امرأة، فكم من سنة تلقتها الأمة بالقبول عن امرأة واحدة من الصحابة، وهذا لا ينكره من له أدنى نصيب من علم السنة" [(3)].

وممن عرفت بكثرة رواية الحديث عائشة أم المؤمنين– ﷺ– إذ تعد الرابعة ترتيبا من جملة الرواة من الصحابة، وقد بلغ عدد ما روته من الأحاديث ،" ألفين ومئتين وعشرة أحاديث، اتفق لها البخاري ومسلم على مئة وأربعة وسبعين حديثا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين"[(4)]، إضافة إلى غيرها من النساء مثل: حفصة بنت عمر، أم سلمة، أم حبيبة، أسماء بنت يزيد، أسماء بنت أبي بكر، أسماء بنت عميس، ميمونة بنت سعد مولاة رسول الله –ρ–، وغيرهن –ﷺ–. وكنّ يرحل إليهن في طلب الحديث لتفردهن به .

فعن أسماء بنت عميس–ﷺ– قَالَتْ :"... فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ– حديث الهجرة–"[(5)].

وكانت عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية تلميذة عائشة وكانت في حجرتها أعلم الناس بحديث عائشة –ﷺ– كما قال ابن حبان[(6)].

---

(1) – أخرجه : أبو داود: السنن، ح(2214). وصححه الألباني . ينظر: إرواء الغليل، ح(2087) .

(2) – ميزان الاعتدال: (604/4) .

(3) – نيل الأوطار: (359/6، 360) .

(4) – سير أعلام النبلاء للذهبي : (2 / 139).

(5) – أخرجه : البخاري: الصحيح، ح(3990)، مسلم : الصحيح، ح(6567).

وفيه:" ...فدخلت أسماء بنت عميس ... على حفصة زوج النبي –ρ– زائرة وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس. قال عمر: الحبشية هذه البحرية هذه، فقالت أسماء: نعم. فقال عمر: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله –ρ– منكم. فغضبت وقالت كلمةً :كذبت يا عمر كلا والله، كنتم مع رسول الله –ρ– يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنا في دار أو في أرض البعداء البغضاء في الحبشة وذلك في الله وفي رسوله، وايم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت لرسول الله –ρ– ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك لرسول الله –ρ– وأسأله، و والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك... فلما جاء النبي –ρ– قالت يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا. فقال رسول الله –ρ–:[**لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ وَلَهُ وَلأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ**]".

(6) – الثقات: (288/5).

-كما تبوأت المرأة مكانة عالية في علوم شتى كالفقه، والفرائض، والأدب، والشعر، والأنساب، وأيام العرب، والطب، قال عروة يصف عائشة :" مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِشِعْرٍ وَلَا فَرِيضَةٍ وَلَا أَعْلَمَ بِفِقْهٍ مِنْ عَائِشَةَ "[1]. بل كانت مرجعا أساسيا ومهما في أمور شتى، ووحيدا فيما يتعلق بحياة النبي -ρ- الخاصة، فعن أبي موسى الأشعري-ﷺ- قال : "ما أشكل علينا أصحاب رسول الله -ρ- حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما"[2].

وقال مسروق: "والذي لا إله غيره، لقد رأيت الأكابر من أصحاب مُحَمَّد يسألونها عن الفرائض " [3].

و كانت-ﷺ- تستدرك على جلة الصحابة. وقد جمع الزركشي ما استدركته في كتاب عنونه بـ "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة".

وكذلك عرفت أم الدرداء بالفقه والعلم، قال النووي: "اتفقوا على وصفها بالفقه والعقل والفهم والجلالة"[4]. وكانت الشفاء بنت عبد الله تجيد الكتابة والقراءة، وتعلمهما.

كما كانت عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية عالمة المدينة وفقيهة عصرها، وعدها الزهري وعاء العلم، و قد أوصى بلزومها القاسم بن مُحَمَّد، فقال هذا الأخير: " فأتيتها، فوجدتها بحرا لا ينزف "[5]. وغيرهن كثير.

بل كان يحتكم إلى المرأة أحيانا عند الاختلاف في مسائل الفقه، فعن أبي سَلَمَةَ قَالَ :" جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ جَالِسٌ عِنْدَهُ فَقَالَ : أَفْتِنِي فِي امْرَأَةٍ وَلَدَتْ بَعْدَ زَوْجِهَا بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ آخِرُ الْأَجَلَيْنِ قُلْتُ أَنَا { وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ } قال أبو هريرة : أَنَا مَعَ ابْنِ أَخِي يَعْنِي أَبَا سَلَمَةَ، فَأَرْسَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ غُلَامَهُ كُرَيْبًا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ يَسْأَلُهَا، فَقَالَتْ: قُتِلَ زَوْجُ سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ وَهِيَ حُبْلَى فَوَضَعَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَخُطِبَتْ فَأَنْكَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ -ρ- وَكَانَ أَبُو السَّنَابِلِ فِيمَنْ خَطَبَهَا"[6].

كما نبغت خلال هذه الحقبة في ميدان الشعر والأدب عدد من الشاعرات والخطيبات اللاتي ضربن أمثلة تحتذى في قوة البيان وفصاحة اللسان؛ منهن عائشة -ﷺ- التي لم يكن ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا، وتضامر بنت عمرو المعروفة بالخنساء، وأروى بنت الحارث، وغيرهن ممن كن ينافحن عن الإسلام ورسوله، ويواجهن هجاء المشركين بالكلمة، كل ذلك بطلب من النبي-ﷺ- وتشجيع منه كما حدث في غزوة أحد [7].

هذا وقد تصدرت المرأة مجلس الإفتاء، كعائشة -ﷺ- التي استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ- إلى أن ماتت، حيث كان الصحابة يقصدونها ليسألوا عن أمور دينهم، وكذلك كان الأمر لغيرها كأم سلمة -ﷺ جميعا-.

ثانيـا : مظاهر التمكين الاجتماعي للمرأة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة.

---

(1) - أخرجه : ابن أبي شيبة: المصنف (5/ 276).

(2) - أخرجه : الترمذي: الجامع، ح(3883).

(3) - أخرجه : الدارمي: السنن، ح(2901).

(4) - تهذيب الأسماء واللغات للإمام : (2 / 623).

(5) - الذهبي : سير أعلام النبلاء (4/ 508).

(6) - أخرجه: البخاري: الصحيح، ح(4529).

(7) - ينظر: حصة بنت هند بنت العتيبي: الدور الحضاري للمرأة المسلمة (485-487).

مكن الإسلام للمرأة ويسر لها من الأسباب ما يساعدها على الانخراط في الحركية المجتمعية، الأمر الذي جعل لها على عهد رسول الله –ρ– حضورا واضحا في النشاط الاجتماعي سواء كان ذلك في شكل جماعي أو فردي، ومن مظاهر هذا التمكين:

أ– المشاركة في أنشطة المسجد سواء ما كان منها تعبديا أو ثقافيا أو توعويا أو ترويحيا، أصل لهذا ورسخه قوله –ρ–: [**لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ**][1].

النشاط المسجدي التعبدي : كشهود صلاة الجماعة والجمعة والعيدين والنافلة والاعتكاف والكسوف، والأحاديث التي تؤكد هذا كثيرة جدا منها ما روي عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان –ﷺ– قالت :" ...**مَا أَخَذْتُ { ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ } [ق:1] إِلاَّ عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ –ρ– يَقْرَؤُهَا كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ إِذَا خَطَبَ النَّاسَ**"[2].

النشاط المسجدي الثقافي والتوعوي : فقد كانت النساء زمن النبي –ﷺ– لا يفوتن فرصة لإثراء معارفهن، والانتفاع بما يقدم إليهن، فعن فاطمة بنت قيس–ﷺ–قالت:"... سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِى مُنَادِى رَسُولِ اللَّهِ –ρ– يُنَادِى الصَّلاَةَ جَامِعَةً. فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –ρ– فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِى ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ –ρ– صَلاَتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ :[**لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاَّهُ**]. ثُمَّ قَالَ : [**أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ**]. قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: [**إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلاَ لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِي كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ ...**]"[3].

ولم يقتصر نشاطها الثقافي على ما كان في المسجد بل كانت لها مساهمة واسعة فيما كان منه أيضا خارج المسجد، ومن صور ذلك ما عرف عن أمهات المؤمنين– ﷺ– من الحرص على تبليغ سنة رسول الله –ρ–، لمن سأل معرفتها ويتخذن من بيوتهن مراكز تشع بنور الهدي النبوي، فعن أبي بكر بن عبد الرحمن أن مروان أرسله إلى أم سلمة –رضى الله عنها – يسأل عن الرجل يصبح جنبا أيصوم؟ فقالت: " **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –ρ– يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ جِمَاعٍ لاَ مِنْ حُلُمٍ ثُمَّ لاَ يُفْطِرُ وَلاَ يَقْضِى**"[4].

و عن عبيد الله بن عبد الله قال دخلت على عائشة فقلت لها: "أَلاَ تُحَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ –ρ– قَالَتْ بَلَى ثَقُلَ النَّبِيُّ –ρ– فَقَالَ : [**أَصَلَّى النَّاسُ**]. قُلْنَا لاَ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: [**ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ**]. فَفَعَلْنَا فَاغْتَسَلَ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: [**أَصَلَّى النَّاسُ**]. قُلْنَا: لاَ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: [**ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ**] فَفَعَلْنَا فَاغْتَسَلَ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: [**أَصَلَّى النَّاسُ**]. قُلْنَا: لاَ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ : [**ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ**]. فَفَعَلْنَا فَاغْتَسَلَ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: [**أَصَلَّى النَّاسُ**]. فَقُلْنَا: لاَ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَتْ: وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ رَسُولَ اللَّهِ –ρ– لِصَلاَةِ الْعِشَاءِ الآخِرَةِ – قَالَتْ – فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ –ρ– إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ρ– يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ –وَكَانَ رَجُلاً رَقِيقًا–: يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ. قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ، قَالَتْ : فَصَلَّى بِهِمْ أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الأَيَّامَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ρ–وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ لِصَلاَةِ الظُّهْرِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّى بِالنَّاسِ فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِي –ρ– أَنْ لاَ يَتَأَخَّرَ وَقَالَ لَهُمَا:[**أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ**]. فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّى وَهُوَ قَائِمٌ بِصَلاَةِ النَّبِي –ρ– وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ أَبِي بَكْرٍ وَالنَّبِي –ρ– قَاعِدٌ"[5].

---

(1) – أخرجه: البخاري: الصحيح، ح(858)، مسلم: الصحيح، ح(1018).

(2) – أخرجه: مسلم : الصحيح، ح(2052).

(3) – أخرجه: مسلم : الصحيح، ح(7573).

(4) – أخرجه: مسلم: الصحيح، ح(2647).

(5) – أخرجه: مسلم: الصحيح، ح(963).

النشاط المسجدي التربوي والترويحي الهادف : حيث كانت نساء الجيل الأول يساهمن في التربية ونشر الوعي مستغلين أحيانا في ذلك بعض الأنشطة الترويحية، فعن الربيع بنت معوذ قالت :" أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ρ- غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الأَنْصَارِ الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ :[**مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ**]. فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ نَصُومُهُ وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصِّغَارَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَنَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهَا إِيَّاهُ عِنْدَ الإِفْطَارِ"[1].

ب- المشاركة في الاجتماعات العامة التعبدية منها وغيرها، كشهودها مناسك الحج وحضورها ضمن جموع الصحابة الغفيرة لأداء هذه الشعيرة، ولم تكن لتمنع من ذلك، بل شملها الخطاب الرباني بهذه الفريضة، وجاءت التشريعات والأحكام بما ييسر عليها ويمكنها من القيام بها على أكمل وأتم وجه، كما يدل على ذلك حديث ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب في حج المريضة[2]، وحديث أم سلمة في طوافها[3]، وعائشة في حج الحائض[4]، وسودة في التبكير بالإفاضة[5] وغيرها من الأحاديث.

وشهود غير ذلك من الاجتماعات، فقناعتها الراسخة بكونها شريكا اجتماعيا جعلتها ترى نفسها معنية بحضورها، وأنها تشملها كل الخطابات والدعوات إلى إقامتها، هذا المستوى من الفهم تترجمه سرعة استجابتها لنداء المنادي " الصلاة جامعة "كما تصوره هذه الأحاديث:

- عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: ...كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ρ-فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ وَالْجَارِيَةُ تَمْشُطُنِي فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ρ- يَقُولُ: [**أَيُّهَا النَّاسُ**]. فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ : اسْتَأْخِرِي عَنِّي. قَالَتْ : إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ. فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ ..." [6].

- وهذه فاطمة بنت قيس تسارع إلى المسجد تلبية لنداء منادي رسول الله -ρ- "الصلاة جامعة"كما جاء في الحديث السابق.

ج- المشاركة في المناسبات العامة، كالاحتفال بالعيد الذي يجمع بين النشاط العبادي المتمثل في التكبير الجماعي وفي صلاة العيد، والنشاط الثقافي المتمثل في سماع خطبة العيد، والنشاط الترويحي المتمثل في مشاهدة لعب الأحباش، وأيضا في خروج المسلمين في حشود غفيرة رجالا ونساء وأطفالا ومشاهدتهم هذا الجمع المبارك وكأنه مهرجان كبير حسب التعبير المعاصر، وحسب التعبير النبوي الخير ودعوة المؤمنين [7]، فعن أم عطية -رضي الله عنها- قالت:" كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد، حتى نخرج البكر من خدرها حتى تخرج الحيض فيكن خلف الناس، فيكبرن بتكبيرهم ويدعون بدعائهم يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته" وفي رواية قالت:" بأبي نعم

---

(1) - أخرجه : البخاري: الصحيح، ح(1859)، مسلم : الصحيح، ح(2725).

(2) – أخرجه : البخاري: الصحيح، ح(4801)، مسلم : الصحيح، ح(1207).

(3) – أخرجه : البخاري: الصحيح، ح(452)، مسلم : الصحيح، ح(1276).

(4) – أخرجه : البخاري: الصحيح، ح(1567)، مسلم : الصحيح، ح(1211).

(5) – أخرجه : البخاري: الصحيح، ح(1597)، مسلم : الصحيح، ح(1290).

(6) - أخرجه: مسلم : الصحيح، ح(6114).

(7) - ينظر: أبو شقة: تحرير المرأة في عصر الرسال ة(2/ 384).

وكانت لا تذكره إلا قالت بأبي سمعت يقول :[**يخرج العواتق وذوات الخدور أو العواتق ذوات الخدور والحيض وليشهدن الخير ودعوة المؤمنين ويعتزل الحيض المصلى**]" [1].

د– المساهمة في عملية الإصلاح، وهو ما تطلق عليه الشريعة الإسلامية اسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأن هذه الجزئية تتقاطع في كثير من النقاط مع العمل السياسي وإسهامات المرأة في هذا المجال، فإنني سأرجئ عرض الصور المعززة لذلك إلى هذا العنصر.

هـ– المساهمة والمشاركة في الخدمة الاجتماعية، حيث كانت تتطوع في أبواب البر والخير خدمة للمجتمع، ومظاهر ذلك كثيرة في سيرة نساء تلك العصور الغراء من تاريخ الأمة، منها:

– مواساة المهاجرين والتكفل بهم حال وصولهم المدينة وتقديم المساعدة لهم، ومن صور هذه المواساة ما رواه أنس بن مالك – τ– قال:" لما قدم المهاجرون المدينة من مكة وليس بأيديهم يعني شيئا وكانت الأنصار أهل الأرض والعقار فقاسمهم الأنصار على أن يعطوهم ثمار أموالهم كل عام ويكفوهم العمل والمئونة وكانت أمه أم أنس أم سليم كانت أم عبد الله بن أبي طلحة فكانت أعطت أم أنس رسول الله –ρ– عذاقا، فأعطاهن النبي –ρ– أم أيمن مولاته أم أسامة بن زيد"[2].

– استضافة أهل الفضل، فعن فاطمة بنت قيس أن النبي–ρ– قال لها: [**انْتَقِلِي إِلَى أُمِّ شَرِيكٍ**]؛ وَأُمُّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَظِيمَةُ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضِّيفَانُ فَقُلْتُ سَأَفْعَلُ فَقَالَ: [**لاَ تَفْعَلِي إِنَّ أُمَّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضِّيفَانِ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكِ خِمَارُكِ أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ سَاقَيْكِ فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكِ بَعْضَ مَا تَكْرَهِينَ وَلَكِنِ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ**]، وفي رواية: "وأمرها أن تنتقل إلى أم شريك ثم أرسل إليها ؛[**أَنَّ أُمَّ شَرِيكٍ يَأْتِيهَا الْمُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ**] [3].

فأم شريك –رضي الله عنها– كانت امرأة من الأنصار ذات مال، وكانت كثيرة النفقة في أبواب الخير حتى إنها سخرت بيتها لإيواء واستضافة الوافدين على رسول الله–ρ– من أهل الفضل

– المساهمة في تجهيز المسجد والقيام على شؤونه، من تنظيف وغيره، فعن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما–:"أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله –ρ– يا رسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه فإن لي غلاما نجارا . قال:[**إن شئت**] . قال فعملت له المنبر فلما كان يوم الجمعة قعد النبي –ρ– على المنبر الذي صنع ".

وعن أبي هريرة : " أن رجلا أسود أو امرأة سوداء كان يقم المسجد – وفي رواية[4]: ولا أراه إلا امرأة–، فمات فسأل النبي –ρ– عنه فقالوا: مات قال: [**أفلا كنتم آذنتموني به، دلوني على قبره أو قال قبرها**]. فأتى قبرها فصلى عليها" [5].

وفي الحديثين ما كانت عليه المرأة في فجر الإسلام من اهتمام بأمور مجتمعها، وبذل النّصح له، ومساهمتها الجادة في خدمته والارتقاء به بما تملكه من أفكار وتكسبه من مهارات، أو تستطيع أن تسخره من طاقات وإمكانات، وقبول المجتمع منها تلك المشاركة، بل وتشجيعها عليها.

---

(1) – أخرجه: البخاري : الصحيح، ح(928 ، 318)، مسلم: الصحيح، ح(890).

(2) – أخرجه: البخاري : الصحيح، ح(2487)، مسلم: الصحيح، ح(4702).

(3) – أخرجه: مسلم: الصحيح، ح(7573، 3773).

(4) – أخرجها: البخاري : الصحيح، ح(446).

(5) – أخرجه: البخاري : الصحيح، ح(448)، مسلم: الصحيح، ح(2259).

– التبرع والانفاق في وجوه الخير والتصدق على الفقراء والمساكين، فعن عن عائشة -ﷺ- أنّ بعض أزواج النّبي -ρ- قلن للنّبي -ρ- : " أيّنا أسرع بك لحوقا ؟ " قال : [**أطولكنّ يدا**]. فأخذوا قصبة يذرعونها، فكانت سودة أطولهن يدا. فعلمنا بعد : أنّما طول يدها الصّدقة. وكانت أسرعنا لحوقا به، وكانت تحب الصّدقة "[1].

فهذه أم المؤمنين زينب بنت جحش -ﷺ- واحدة من نساء ذلك الزمان، كانت تشتغل بيدها لتتصدق وتنفق مما تتكسب على الفقراء والمساكين قربى وزلفى إلى الله -Y-، وخدمة لمجتمعها، ولها من المواقف الكثير مما يشهد لها بإقبالها وولعها بهذا السبيل من الخير، وفي المجتمع يومئذ غيرها الكثيرات.

– المشاركة في عملية التعليم ومحو الأمية، فعن الشفاء بنت عبد الله قالت:" دخل علي رسول الله -ρ- وأنا عند حفصة فقال لي: [**ألا تعلمين هذه رقية النملة** – النملة قروح تخرج في الجنبين- **كما علمتيها الكتابة**]"[2].

وعلى هذا فالشفاء –ﷺ –كانت تعلم النساء الكتابة، وممن تعلمت على يدها أم المؤمنين حفصة بنت عمر–رضي الله عنهما–.

– رعاية المرضى وتطبيبهم، فعن خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء امرأة من نسائهم بايعت النبي–ρ- أخبرته : "أن عثمان بن مظعون طار لهم في السكنى حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين، قالت أم العلاء: فاشتكى عثمان عندنا فمرضته حتى توفي..."[3]. هذا فضلا عن تطوعها بمعالجة الجرحى بعد المعارك كما سيأتي بيانه لاحقا.

ثالثا: مظاهر التمكين السياسي للمرأة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة.

كان للمرأة حضورا بارزا في الحياة السياسية للأمة، حيث انخرطت منذ فجر الدعوة في مسيرة التغيير وتأسيس الدولة الجديدة، وسجلت آثارها وبصماتها مع أولى خطوات عملية البناء والتشييد، فكانت خديجة بنت خولد –ﷺ- وأول زوجات المصطفى–ρ- أول من حمل لواء هذه الدعوة، وءازر إمامها، وشد على يديه وربط على قلبه، مقدمة الدعم المادي والمعنوي له وللمستضعفين من المسلمين بشهادته وإشادته –عليه الصلاة والسلام–، ومباركة المولى–Ψ- الذي بشرها ببيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب وشرفها بسلام خاص منه–سبحانه–[4]،اعترافا بفضل هذه المرأة العظيمة، وإقرارا بدورها الريادي، يعكس مدى تقدير الإسلام لجهود المرأة والتمكين لها في هذه الفترة الحرجة من عمر الأمة.

لم يقتصر الأمر في هذا على أم المؤمنين خديجة–ﷺ- بل التحق بها يساندها ويقوي شوكة المسلمين وينشر الإسلام كوكبة من الصحابيات –ﷺ–، منهن أم شريك الدوسية، فعن ابن عباس–τ- قال:" وَقَعَ فِي قَلْبِ أُمِّ شَرِيكٍ الْإِسْلَامُ، فَأَسْلَمَتْ وَهِيَ بِمَكَّةَ، وَهِيَ إِحْدَى نِسَاءِ قُرَيْشٍ، ثُمَّ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَتْ تَحْتَ أَبِي الْعَكْرَاءِ الدَّوْسِيِّ، فَأَسْلَمَتْ، ثُمَّ جَعَلَتْ تَدْخُلُ عَلَى نِسَاءِ قُرَيْشٍ سِرًّا فَتَدْعُوهُنَّ وَتُرَغِّبُهُنَّ فِي الْإِسْلَامِ، حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُهَا لِأَهْلِ مَكَّةَ "[5] لترحل بعد ذلك إلى قومها وتنال في طريقها صنوفا من العذاب فما يزيدها ذلك إلا تثبيتا، وأم عمار سمية بنت خياط الفدائية التي قدمت روحها فداء ونصرة لهذا الدين

---

(1) – أخرجه: البخاري : الصحيح، ح(1354)، مسلم: الصحيح، ح(6470).

(2) – أخرجه: أبوداود: السنن، ح(3887).

(3) – أخرجه: البخاري: الصحيح، ح(3714).

(4) – فقد روى الشيخان عن أبي هريرة أن جبريل أتى النبي–ρ- فقال :" يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ".

أخرجه: البخاري: الصحيح، ح(3536)، مسلم : الصحيح، ح(4460).

(5) – أبو نعيم : معرفة الصحابة (6/ 3518).

وإظهار كلمة الحق، "وكانت أسماء بنت أبي بكر ثالث ثلاثة ائتمنوا على أخطر التحولات التي غيرت مجرى الدعوة الإسلامية- هجرة الرسول-ρ- من مكة إلى المدينة – بل أسهمت في التدبير و التنفيذ"[1].

ومن مظاهر التمكين السياسي للمرأة أيضا غير ما ذكرت إشراكها ومساهمتها في كل المحطات التي شكلت المجتمع المسلم على عهد النبي -ρ-، حيث شاركت في:

أ- الهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة بصحبة أزواجهن بعد أن هاجر إليها رسول الله -ρ-، وقد أذن لهن بذلك ونوه به ، وممن هاجرن ابنته رقية، وأسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب، وسهلة بنت سهيل-ﷺ- .

ب- البيعة، والبيعة هي ميثاق الولاء السياسي الذي يقضي بالالتزام لجماعة المسلمين والطاعة لإمامهم[2]

ففي بيعة العقبة الثانية (13ق هـ) -التي مثلت الجمعية التأسيسية لإقامة الدولة الإسلامية الأولى- شاركت المرأة الرجال في إبرام التعاقد الدستوري والعقد الاجتماعي بإقامة الدولة، وقد كان من المبايعين امرأتان من الأنصار من ذوات الفضل والرأي والمكانة هما: نسيبة بنت كعب الأنصارية، وأم منيع أسماء بنت عمرو السلمية وقعتا عقد تأسيس الدولة، وأسهمتا في هذا الحدث السياسي التاريخي[3].

هذا وقد تمت البيعة للنبي-ρ- في أوقات عديد، و أماكن مختلفة كانت في جميعها المرأة حاضرة مثل بيعة الرضوان في الحديبية (6هـ) وخصت ببيعة النساء في مشعر الصفا يوم فتح مكة (8هـ)، وفي مبايعة النبي -ρ- للنساء مبايعة مستقلة عن الرجال- إقرار بأهليتها وبحقها في حرية الاختيار واستقلالها في ذلك عن الرجل، وتمكين فعلي لها من أداء هذا الحق السياسي.

ج- الجهاد في سبيل الله، ويعد واحدا من أبرز الميادين السياسية التي خاضتها المرأة، وصورة جلية من صور التمكين السياسي للنساء في العصرين النبوي والراشدي، حيث أذن لهن بالمشاركة في حماية بيضة الإسلام والذود عن حماه، كما سمح لهن بالمساهمة في الفتوحات الإسلامية، فشهدت غزوات الرسول -ρ- مرات ومرات، وما بعده من الغزوات ضد الفرس والبيزنطيين وحروب الردة، غير أن مشاركتها كانت تضبطها الطبيعة الخاصة للمرأة، حيث كانت في الصفوف الخلفية للجيش تداوي الجرحى، وتسقى العطشى، وتعد الطعام، فعن أم عطية الأنصارية-ﷺ- قالت: " غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ρ- سَبْعَ غَزَوَاتٍ أَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ فَأَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعَامَ وَأُدَاوِي الْجَرْحَى وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى "[4].

وقد بلغ عدد من شارك في غزوة خيبر حسب الروايات خمس عشرة امرأة، منهن: أم سنان الأسلمية، أم أيمن، أم منيع بنت عمرو، نسيبة بنت كعب، وأمية بنت قيس الغفارية[5]، قالت أمية-ﷺ-: "جئتُ رسول الله -ρ- في نسوة من بني غِفَار، فقلنا: إنّا نريد يا رسول الله أن نخرج معك إلى وجهك هذا، تعني خيبر، فنُداوِي الجرحى ونُعين المسلمين بما استطعنا. فقال رسول الله- ρ-: على بركة الله. قالت: فخرجنا معه وكنت جارية حديثًا سني ... فلمّا فتح الله لنا خَيبر، رَضخ لنا من الفيء ولم يسهم لنا،

(1) - محمد عمارة: حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام (22).

(2) - حصة بنت هند بنت العتيبي: الدور الحضاري للمرأة المسلمة (489).

(3) - ينظر: محمد عمارة: حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام (22).

(4) - أخرجه: مسلم: الصحيح، ح(4793).

(5) - ينظر: أبو شقة: تحرير المرأة في عصر الرسالة(2/ 221).

وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها وعلّقها بيده في عنقي، فوالله لا تفارقني أبدًا. فكانت في عنقها حتى ماتت وأوصت أن تُدفن معها"[1].

إلا أنها كانت أحيانا تحمل السلاح تدافع به عن نفسها بل وحتى عن النبي -ρ-، حيث اتخذت أم سليم خنجرا يوم حنين، فلما سألها المصطفى -ρ- عنه قالت:" اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ. فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَضْحَكُ"[2]، وقامت أم عمارة نسيبة بنت كعب يوم أحد بين يدي رسول الله-ρ- تنافح عنه، قالت :" قد رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله فما بقي إلّا في نُفَير ما يُتِمُّون عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذُبّ عنه، والناس يمرّون به مُنهزمين، ورآني لَا تُرْسَ معي، فرأى رجلًا مُوليًّا معه تُرْس، فقال: يا صاحب الترس ألقِ تُرْسَك إلى من يُقاتلُ! فألقى تُرْسَه فأخذتُه فجعلتُ أتترّس به عن رسول الله..." [3].

وقد شاركت-ﷺ- في حروب الردة في خلافة أبي بكر-τ- في موقعة اليمامة فقاتلت حتى قطعت يدها وجرحت أحد عشر جرحا [4]، وشاركت أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية في معركة اليرموك زمن الخليفة عمر بن الخطاب-رضي الله عنهم-و قتلت تسعة من الروم بعمود فسطاطها[5].

وخرجت أم حرام بنت ملحان مع زوجها عبادة غازية فِي البحر، وذلك فِي إمارة معاوية وخلافة عثمان، ويقال: إن زوجة معاوية فاختة بنت قرظة شهدت أيضا هذه الغزوة[6]، وكانت مشاركة أم حرام هذه بدعوة خصها بها النبي-ρ-، فعن أنس بن مالك -ﷺ- قال: "قَالَ رسول الله -ρ-: [**نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ**] ... قَالَتْ: فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَدَعَا لَهَا ...] [7].

هذه نماذج يسيرة تمثل نقطة من بحر وفيضا من غيض، تعبر عن مشاركة النساء في الجهاد والغزو في حياة المصطفى-ρ- وحياة الخلفاء الراشدين من بعده، بما يطقن وبما تسمح به طبيعتهن، وتدل دلالة واضحة على تمكين الإسلام للمرأة في الحياة السياسية .

إضافة إلى ما سبق فثمة ممارسات كثيرة تؤكد ما حظيت به المرأة فجر الإسلام من الحقوق، والتي فتحت أمامها باب المساهمة في الحياة السياسية للأمة، وفي رحلة بناء وتشييد الدولة الجديدة، منها :

أ- قبول ولائها واحترام رأيها، فعن عائشة -ﷺ- قالت: "جاءت هند بنت عتبة فقالت : يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إليّ أن يذلوا من أهل خبائك، ثمّ ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحبَّ إليّ أن يعزّوا من أهل خبائك، قال: [**وأيضا، والذي نفسي بيده**]"[8].

ب- قبول إجارتها وإقرار أمانها، فعن أم هانئ بنت أبي طالب -ﷺ-، قالت: "ذهبت إلى رسول الله -ρ- عام الفتح ... فقلت: " يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ ابْنُ أُمِّي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلاً أَجَرْتُهُ -أمنته- فُلاَنُ بْنُ هُبَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ρ-:[**قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ**]" [1].

---

(1) - ابن سعد: الطبقات الكبرى (10/ 277).

(2) - أخرجه: مسلم: الصحيح، ح(4783).

(3) – ابن سعد: الطبقات الكبرى (10/ 384،385)

(4) – ابن سعد: الطبقات الكبرى (387/10).

(5) – ينظر: أبو نعيم: معرفة الصحابة (6/ 3258).

(6) – ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (4/ 1931).

(7) - أخرجه: البخاري: الصحيح، ح(6600)، و أخرجه: مسلم: الصحيح، ح(5043).

(8) - أخرجه: البخاري: الصحيح، ح(3613)، و أخرجه: مسلم: الصحيح، ح(4577).

ج– إشراكها في شؤون الدولة وصناعة القرار، وشواهد ذلك كثيرة، فقد استشار –ρ– أم سلمة –ﷺ– فيما وقع في صلح الحديبية وكان الأمر خطيرا والخطب جَلَلا، حيث أمر –عليه الصلاة والسلام– أصحابه بالتحليل بعد عقده الصلح مع قريش فلم يجبه أحد منهم لذلك، فأشارت عليه أم سلمة–ρ– بأن يبادر هو بذلك، فأخذ بمشورتها وما كاد يفعل حتى تحلل الجميع[2]، "فمنع الله بشورى أم سلمة الفتنة عن المسلمين في الشأن السياسي العام" [3].

وأشارت أم سليم يوم فتح مكة بقتل الطلقاء فقال–ρ– :[**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ**] [4].

وعندما أراد الخلفة عمر –τ– أن يضعَ قانونا ينظم مواقيت غيبة الجند المقاتلين عن نسائهم، استشار حفصة –ﷺ– فأشارت عليه، فأخذ عمر بمشورتها، ووقت للناس في مغازيهم ستة أشهر، فلا يحق للزوج أن يتغيب عن أهله أكثر من ذلك[5].

وعن مُحَّد بن سيرين قال :" إن عمر رضي الله عنه كان يستشير في الأمر حتى إنه كان يستشير المرأة، فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به"[6]

وبعد وفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –τ– عهد بالنسخة الوحيدة للقرآن الكريم دستور الأمة ومصدر تشريعها والتي كتبت في عهد الخليفة أبي بكر –τ– إلى السيدة حفصة –ﷺ– فكانت عندها وديعة إلى أن طلبها عثمان لإعادة جمع القرآن ونسخه .

د– مراجعة الحاكم وتقديم النصح له ولجماعة المسلمين، برز ذلك بجلاء في مشاهد كثيرة عرضتها كتب السنة والسير، هذه بعض منها:

– وقفت خولة بنت مالك بن ثعلبة –ﷺ– بين يدي رسول الله –ρ– تجادله في زوجها وتشكو إلى الله حالها، فلم يردها – عليه الصلاة والسلام– أو ينكر عليها، بل أنزل الله فيها قرآنا وشرع أحكاما تنصفها ومثيلاتها من النساء، فقال – عز من قائل– :{ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ... } [المجادلة : 1]

– وجاءت أم عمارة؛ نسيبة بنت كعب إلى النبي –ρ–، فقالت بأسلوب ينم عن احتجاج من يشعر بالغبن ويطلب حقه[7] :" ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء؟"[8]، ولم يحدث أن غضب الرسول –ρ– من نسيبة ولا من كلامها، ولا أنه نهرها، ولكن الذي حدث أن استجاب الله لطلبها فأنزل قوله سبحانه : { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ

---

(1) – أخرجه: البخاري: الصحيح، ح(3000)، و أخرجه: مسلم: الصحيح، ح(1702).

(2) – الحديث أخرجه: البخاري: الصحيح، ح(2581).

(3) – مُحَّد عمارة: حقائق وشبهات (23).

(4) – أخرجه: مسلم: الصحيح، ح(4783).

(5) – في قصة طويلة أخرجها: عبد الرزاق : المصنف، ح(12594).

(6) – البيهقي : السنن الكبرى (113/10).

(7) – مُحَّد عمارة : شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام (29).

(8) – أخرجه: الترمذي : الجامع، ح(3211).

وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [الأحزاب : 35].

– ومواقف أمهات المؤمنين وعلى رأسهم عائشة –رضي الله عنها– من الفتنة في خلافة عثمان ومن بعده علي–رضي الله عنهم– لخير دليل على ما كان من النساء من معارضة للحاكم والنصح له، ومما يؤثر عنها أنها أرسلت إلى عثمان بن عفان تنصحه، قالت :" قدم عَلَيْك أَصْحَاب مُحَمَّد وسألوك عزل هَذَا الرجل فأبيت ذَلِك بِوَاحِدَة وَهَذَا قد قتل مِنْهُم رجلا فأنصفهم من عاملك"[1].

هـ– تكليفها بمهام وتوليتها مناصب في الدولة، فقد كلف المصطفى –ρ– أسماء بنت أبي بكر في رحلة الهجرة إلى المدينة بإمداده وصاحبه بالطعام والشراب وأخبار العدو، كما أُوكل استقبال الوفود التي تأتي إلى النبي –ρ– واستضافتهم إلى أم شريك وكانت امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله ينزل عليها الضيفان، كما جاء في حديث فاطمة بنت قيس[2].

وقد تولت سمراء بنت نُهَيك الأسدية الحسبة، وكان لها سوط تعنّف بها من يغش في البيع، فعن أبي بلج قال: "رأيت سمراء بنت نهيك، وكانت قد أدركت النبي –ρ– عليها درع غليظ، وخمار غليظ، بيدها سوط تؤدب الناس، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر"[3].

وولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –τ– الشفاء بنت عبد الله القرشية الحسبة على السوق، قال ابن حجر:" وكان عمر يقدمها في الرأي ويرعاها ويفضلها، وربما ولّاها شيئا من أمر السوق"[4].

كما عهد –τ– لأم المؤمنين حفصة –رضي الله عنها– بتولي نظارة الوقف الذي وقفه وإدارة شؤونه بعد وفاته إلى أن يتوفاها الأجل وأوصى لها بذلك، كما نقل ذلك عبد الله بن الأرقم عنه، قال:" ... هذا ما أوصى به عبد الله عمر أمير المؤمنين إن حدث به حدث أن ثَمَغا وصِرْمة بنِ الأكوع والعبد الذي فيه والمائة سهم التي بخيبر ورقيقه الذي فيه والمائة التي أطعمه مُحَمَّد –ρ– بالوادي، تليه حفصة ما عاشت..."[5].

رابعا: مظاهر التمكين الاقتصادي للمرأة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة.

منح الإسلام للمرأة كافة الوسائل والحقوق المشروعة التي تساعدها على ولوج هذا المجال والمشاركة فيه، وفق آداب وضوابط من غير أن يخل بواجباتها، أو يتنكر لطبيعتها، فأقر لها الحق في الميراث، والمهر، والتملك، وغيرها من الحقوق، لتتمكن من القيام بأنشطة اقتصادية مختلفة كالتجارة والصناعة وممارسة المهن والحرف المختلفة، وهذه بعض الشواهد على ذلك:

أ– في ميدان التجارة، حيث أقر الإسلام من خلال تشريعاته للمرأة الأهلية التامة في التصرفات المالية، حين أقر استقلال ذمتها المالية، وساوى في الخطاب بينها وبين الرجل في هذا المجال، الأمر الذي شجع ومكن لكثير من النساء من ممارسة هذا النشاط من بيع وشراء سواء كان ذلك بشكل مباشر، أو غير مباشر، وقد برز في هذا الميدان مجموعة من النساء منهن:

---

(1) – ابن حبان : الثقات (2/ 256، 257).

(2) – أخرجه: مسلم : الصحيح، ح(7573).

(3) – الطبراني : المعجم الكبير، ح(785).

(4) – الإصابة في تمييز الصحابة: (8/ 202).

(5) – أبو داود : السنن، ح(2879).

– أم المؤمنين السيدة خديجة –ﷺ–: وكانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه، بشيء تجعله لهم [1]، وكان ذلك في الجاهلية وفي الإسلام وهي زوجة للنبي–ρ–.

– كذلك كانت أم المؤمنين زينب بنت جحيش–ﷺ– تقوم ببعض الصناعات ثم تبيعها لتتصدق بثمنها.

– زينب امرأة عبد الله بن مسعود –رضي الله عنهما–، و كانت صَنَاع اليدين، أي صاحبة حرفة ماهرة بها، حيث كانت تنفق على أولادها مما كانت تكسبه من بيع ما تصنعه.

– وكانت الحولاء عطارة تبيع العطر بالمدينة زمن رسول الله–ρ–.

– وكان عبد الله بن أبي ربيعة زمن خلافة عمر بن الخطاب–ﷺ– يبعث إلى أمه أسماء بنت مخربة بعطر من اليمن، فكانت تبيعه إلى يصرف الخليفة الأعطيات[2].

– جدة عمر بن عبد العزيز–τ–كانت تبيع اللبن في خلافة عمر بن الخطاب –τ– وقد وردت في شأنها قصة شوب اللبن بالماء، ذكرتها كتب السير[3] .

ب– الزراعة والرعي، وهما من الأنشطة الاقتصادية التي اشتهرت بهما شبه جزيرة العرب .

– أما في مجال الرعي فقد ذكرت كتب السنة والسير العديد من النساء اللواتي كن يزاولن هذا النشاط، حيث كان لمعاوية بن الحكم[4]، وكعب بن مالك[5] جواري يقمن برعي ماشيتهما، وكان لميمونة زوجة النبي –ρ– ابنت اخت أو ابنت أخ ترعى الغنم[6]، وحث النبي –ρ– أم هانئ على اتخاذ غنم، فقال لها : [**اتخذي غنما، فإن فيها بركة**] [7].

ويروى أنه كان للتابعية العالية بنت سبيع " غنم بأحد فوقع فيها الموت فدخلت على ميمونة زوج النبي –ρ– فذكرت ذلك لها فقالت لي ميمونة: لو أخذت جلودها فانتفعت بها..." [8].

وعن أنيسة بنت خبيب، قالت: "كن جواري الحي ينتهين بغنمهنّ إلى أبي بكر الصديق فيقول لهن: أتحبين أن أحلب لكم حلب ابن عفراء؟"[9] يتلطف معهن، و الظاهر أن ذلك كان في خلافته–τ–.

– وأما في مجال الزراعة ففي السُنّة روايات وأحاديث كثيرة تؤكد ممارسة المرأة لهذا النشاط سواء كان ذلك في زمن المصطفى بإذن وتشجيع منه –ρ–، وكذلك زمن الخلفاء الراشدين.

فعن جابر بن عبد الله قال: "طُلّقت خالتي، فأرادت أن تجدّ نخلها فزجَرها رجل أن تخرج، فأتت النبي –ρ– فقال: [**بَلَى فَجُدِّى نَخْلَكِ فَإِنَّكِ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِي أَوْ تَفْعَلِي مَعْرُوفًا**]" [10]. فأذن لها النبي–ρ– أن تقطع ثمر نخلها وهي معتدة.

---

(1) – ابن هشام : السيرة النبوية (1/ 187)

(2) – ابن سعد : الطبقات الكبرى (7 / 197).

(3) – ينظر : الآجري : أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– وسيرته (48).

(4) – ينظر الحديث عند : مسلم : الصحيح، ح(1227).

(5) – ينظر الحديث عند: البخاري : الصحيح، ح(5183).

(6) – ينظر الحديث عند: النسائي : السنن الكبرى، ح(4933).

(7) – أخرجه: ابن ماجه : السنن، ح(2304).

(8) – أخرجه: أبو داود : السنن، ح(4126).

(9) – ابن سعد: الطبقات الكبرى (10/ 342).

(10) – أخرجه : مسلم : الصحيح، ح(3794).

وعن جابر أن النبي –ρ– دخل على أم مبشر الأنصارية في نخل لها، فقال لها النبي–ρ–:"... [**لاَ يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا وَلاَ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلاَ دَابَّةٌ وَلاَ شَيءٌ إِلاَّ كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ**] "[1].

ج– الصناعات والحرف، فقد برزت المرأة في النشاط الحرفي فكان منهن من تشتغل بالنسج، والدبغ، والغزل، ماهرات بذلك من أمثال زينب بين جحيش، أسماء بنت عميس، أم سنان الاسلمية– ﷺ– كما جاء صريحا في روايات كثيرة، منها:

– أما أم المؤمنين زينب بين جحيش، فقالت في شأنها عائشة –رضي الله عنهما–: "وكانت زينب امرأة صناع اليد، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدّق في سبيل الله»[2].

– وأما أسماء بنت عميس فتحكي عن نفسها، قالت:" أصبحت في اليوم الذي أصيب فيه جعفر وأصحابه فأتاني رسول الله – ρ– ولقد هنأت–يعني دبغت– أربعين إهابا من أدم وعجنت عجيني وأخذت بنيَّ فغسلت وجوههم ودهنتهم..."[3]. والظاهر أنها كانت تحترف هذه المهنة.

– وجاءت أم سنان الاسلمية إلى النبي – ρ– تستأذنه في الخروج معه إلى خيبر، قالت :" يا رسول الله أخرج معك في وجهك هذا –في وجهتك هذه– أخَرز السِّقاء، وأُدَاوِى المريض والجريح ..." [4].تعرض مساعداتها مما تطيق وتتقن من العمل.

– وقد أهدت إحدى الأنصاريات لرسول الله – ρ– بردة نسجتها بيدها، فعن سهل بن سعد "أن امرأة جاءت ببردة إلى رسول الله – ρ– قالت يا رسول الله إنّي نَسَجْت هذه بيدي أكْسوكَهَا، فأخذها رسول الله– ρ– مُحتَاجًا إليْها فخَرَجَ إلينا وإنّها لإزَارُهُ"[5] .

– وكان جمع من النسوة في عهد النبي – ρ– وأبي بكر وصدر خلافة عمر – ﷺ– يجتمعن في المسجد يغزلن، ويصنعن أو يصلحن الخرص، منهن أم صُبية خولة بنت قيس الجهنية [6].

د– ممارسة الطب، ويعد أحد أبرز الميادين التي كانت النساء تشارك من خلالها في الغزو والجهاد، حيث كان يوكل إليهن تطبيب الجرحى ومعالجة المرضى، وقد برعت في كثير من مجالاته واشتهرت نساء كثر، منهن:

– السيدة عائشة –ﷺ–، قال عروة بن الزبير: " ما رأيت أحدا أعلم بالطب من عائشة، فقلت: يا خالة ممن تعلمت الطب؟ قالت: كنت أسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظ"[7] .

– رفيدة بنت سعد الأسلمية صاحبة الخيمة الطبّية وأوّل مستشفى ميداني، حيث كانت تقيم خيمتها التي عرفت باسمها "خيمة رفيدة" والتي تداوي فيها الجرحى في المسجد، أثناء غزوة بني قريظة، وكان الرسول – ρ– قد جعل في خيمتها سعد بن معاذ –τ– عندما أصيب، وكان يعوده فيها[8].

---

(1) – أخرجه : مسلم : الصحيح، ح(3794).

(2) – ابن سعد: الطبقات الكبرى (10/ 105).

(3) – ابن سعد: الطبقات الكبرى (8/ 220).

(4) – ابن سعد: الطبقات الكبرى (10/ 276).

(5) – أخرجه : البخاري : الصحيح، ح(1987).

(6) – ابن سعد: الطبقات الكبرى (10/ 280).

(7) – أبو نعيم الأصفهاني: الطب النبوي (1/ 201).

(8) – تقي الدين المقريزي : إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (1/254– 9/ 254):

– وفي مجال التوليد وتطبيب النساء اشتهرت سلمى مولاة رسول الله– ρ–، وقيل مولاة صفيّة بنت عبد المطّلب، فهي التي كانت تقبل خديجة بنت خويلد بن أسد بأولادها من رسول الله– ρ–، وهي من قبلت مارية أمّ إبراهيم بإبراهيم ابن رسول الله [1]، وكانت قابلة بني فاطمة ابنة رَسُول اللَّهِ – ρ– [2].

– وعرفت الشفاء بنت عبد الله بـ "رقية النملة " وهي – النملة – قروح تخرج من الجنب أو الجنبين، وكان المصطفى – ρ– قد طلب منها بأن تعلمها حفصة كما ورد في الحديث السابق.

النتائج والتوصيات:

وفي الأخير نختم ورقتنا البحثية هاته بالنتائج والتوصيات الآتية:

– إن هذه المداخلة وإن جاءت في بيان وإبراز مظاهر وصور التمكين للمرأة في عصر النبي –ρ– والخلفاء الراشدين، فإننا لم نقصد من ورائها التأصيل للتمكين بمفهومه الغربي المادي، وإنما أردنا أن نسوق نماذج وأمثلة تقوم مقام الشواهد والأدلة على فاعلية المرأة في هذه الحقبة المتميزة والخاصة من تاريخ الأمة، وتعكس في الوقت نفسه مدى ثراء منظومتنا التشريعية الإسلامية بما يمكن للمرأة السبل الآمنة والميسرة لأداء وظيفتها الأساسية المنوطة بها؛ وهي خلافة الأرض وعمارتها، ولن يكون ذلك إلا بمعية الرجل شريكها في مهمة الاستخلاف شراكة يحكمها مبدأ التكامل والمساواة، قال –ρ– : [**النساء شقائق الرجال**]، ولسنا نعني بالمساواة هنا "المساواة التماثلية المطلقة، ولكننا نقصد المساواة في الكرامة مع اختلاف في الأعباء، والمساواة في المنزلة مع اختلاف في الأدوار، ومساواة في القيمة مع اختلاف في القدرات"[3] .

– هذا الثراء في ديننا الحنيف والذي نجح أيما نجاح في التمكين للمرأة يفرض علينا اليوم النظر والبحث في آليات التمكين لها بما مكن لها دينها، مما شرعه لها من حقوق وواجبات تحفظ كرامتها، وتراعي طبيعتها وجوهر رسالتها.

– إن تمكين المرأة اليوم لا يحتاج إلى مزيد تشريعات، وإنما يحتاج إلى البيئة التي تحتضن هذه العملية، وتحمل على عاتقها مسؤولية إنجاحها، وإلى الإرادة الجماعية الواعية الوقّافة عند حدود الله –عزوجل–، وهنا يحضرني حديث عاتكة بنت زيد زوجة عمر –رضي الله عنهما–وكانت "تَشْهَدُ صَلَاةَ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهَا : لِمَ تَخْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ؟ قَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِي؟ قَالَ يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ –ρ– [**لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ**].

– تمكين الإسلام للمرأة هو تمكين إلهي – من الله عزوجل– لا فضل لأي كان فيه، الأمر الذي يحرر المرأة من الولاء والخضوع إلا لله صاحب الفضل –سبحانه–.

قائمة المصادر والمراجع.

– إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (1420هـ)، المكتب الإسلامي– بيروت–، (ط:2)(1405هـ/1985م).

(1) – ابن سعد: الطبقات الكبرى (10/ 216).

(2) – ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (4/ 1862).

(3) – سيدة محمود مُحَمَّد : مفهوم التمكين النسوي من المنظورين الغربي والإسلامي(310).

– الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، ت : عادل أحمد عبد الموجود وعلى مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت–، (ط:1)(1415هـ).
– تحرير المرأة في عصر الرسالة، عبد الحليم مُحَمَّد أبو شقة، دار القلم –الكويت–(ط:6)(1422هـ–2002م).
– التحرير الإسلامي للمرأة–الرد على شبهات الغلاة–، مُحَمَّد عمارة، دار الشروق –القاهرة–، (ط:2)(1423هـ–2002م).
– الدور الحضاري للمرأة المسلمة في العهد النبوي والراشدي، حصة بنت هند بنت العتيبي، مجلة بحوث الشرق الأوسط–القاهرة–، ع:41، ج:5،(2017م)
– الجامع الصحيح المختصر، مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير– بيروت–، (ط:3)(1407هـ– 1987م)
– الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل –بيروت –.
– الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعمول وما عليه العمل، مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (279هـ)، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت–،(1998 م).
– حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام، مُحَمَّد عمارة، دار السلام– القاهرة–، (ط:1)(1431هـ–2010م) .
– السلسلة الصحيحة، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض–.
– سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، ت : مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
– سنن ابن ماجه، أبو عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني ابن ماجه (275 هـ)، ت : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر –بيروت–.
– سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، (ط:3)(1405هـ/1985م).
– السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو مُحَمَّد، جمال الدين (ت 213هـ)، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، (ط:2) (1375هـ–1955م).
– شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام ، مُحَمَّد عمارة، نهضة مصر–مصر–، (ط:1)(2008م).
– الطبقات الكبرى، مُحَمَّد بن سعد بن منيع الزهري (ت 230 هـ)، ت: الدكتور علي مُحَمَّد عمر، مكتبة الخانجي– القاهرة – (ط:1)(1421 هـ –2001 م).
– الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت 235هـ)، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض–،(ط:1)(1409هـ).
– معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت 430هـ)، ت: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر– الرياض–،(ط:1)(1419هـ–1998م).
– مفهوم التمكين النسوي من المنظورين الغربي والإسلامي، سيدة محمود مُحَمَّد، (ط:1)(1442هـ–2021م).
– ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، ت:علي مُحَمَّد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر– بيروت– ،(ط:1)(1382 هـ /1963م).